تقديم

بقلم د. حامد عبد الماجد قويسى

أستاذ العلوم السياسية المساعد

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

ليس هذا تقديمًا للكتاب فى محتوياته ، وإن كانت تلك المحتويات من الأصالة والعمق المنهجى ، الأمر الذى تحتاج معه إلى ما هو أبعد من محاولة القراءة والتقديم الذى تتضمنه هذه السطور ، ولكنه - فى بعض جوانبه - محاولة للوفاء بدين نحو أستاذنا - العلامة الجليل - الذى وضع هذا الكتاب مفرقًا فى مقالات ودراسات علمية تجمعها وحدة الموضوع وريادته ، وجدية التناول وأصالة منهجيته . . . وقد جاءت مسلسلة تحت عنوان واحد هو (**سوف أظل عربيًا**) وبلغت خمسًا وعشرين مقالة .

وشاءت إرادة الله أن يكون التعليق على هذه المقالات والدراسات والسعى لتعميم استفادة الأمة منها عبر إعدادها والقيام على أمر نشرها على يد عالمين فاضلين ، لهما علينا وعلى الكثيرين من أجيالنا فضلاً كبيرًا فى التربية والتوجيه ، وتقديم الأسوة الحسنة تواضعًا ، وعلمًا ، وجهادًا ، فشرف هذا القلم وصاحبه أن يقدم لهذا العمل القيم المتميز عندما طلبا منه ذلك الأمر .

ورغم التنوع الكبير لاهتمامات مؤلفنا العلمية ، والجهد الموسوعى المبذول فى كتاباته ودراساته ، مما يضع صعوبة حقيقية أمام أية محاولة لرصدها والتقديم لها ، إلا أن الموضوع الذى تدور حوله المقالات والدراسات الواردة بين دفتى هذا الكتاب تقع موقع القلب فى اهتماماته ودراساته كما أتصور ؛ إذ أنها تدور حول مسؤولية العالِم والمفكر تجاه قضايا أمته المختلفة ، ودوره فى النهوض بها متصديا لمشاكلها وأزماتها - وهى مسألة ألح عليها فى أكثر من موضع ومؤلَّف من مؤلفاته - إن هذه المقالات تعكس نوعًا من الفكر الحركى له مقاييسه ومعاييره فى التحليل والنظر ، الأمر الذى ينبغى أن نأخذه فى الاعتبار ، أو هو - بالأصح - نوع من (العلم النافع) الذى عرفته أمتنا فى فترات صعودها وإيناعها التاريخى .

لقد أعلن مؤلفنا - فى أكثر من موضع فى مقالاته ودراساته - أنه آن الأوان بعد أن

ظل فترات طويلة من المعاناة معتكفًا فى صومـعة العلم ؛ أن يخرج للأمة حاملاً راية الجهاد ضد الجهالات العـلمية ، والتخلف الفكرى ، وكما يقـول فى أحد هذه المقالات : « هناك لحظات فى تاريخ المجتمعات يتعين فيـها على المفكر والفيلسوف أن يخاطب رجل الشارع ، يثير فيه عناصره النفسية الدفينة ، ويدفع من خلال قرع الضمير الجماعى ذلك الرجل العادى ليحيلـه إلى قوة خلاقة ، تنطلق فى عـملية إيمان بالذات لتصيـر فيضانًا يتحكـم فى مصائر الحركـة » ، وينطلق من وعى حقيـقى بتدهور أحوال الأمة وأوضـاعها : « نحن نسـير من سـيئ إلى أسوأ ، وكل يوم يمر هو خـير من الحـاضـر ، وكل يوم هو أكثـر تدنيًا من هذا الحاضر . . إن الأرض العربية أضحت مسرحًا واسعًا للعرائس واللامعقول ، فكيف يستطيع المحلل الناقد أن يهرب من هذا الواقع ؟؟ » .

ويحيل هذا الوعى بواقع الأمة إلى عناصره التحليلية الأسـاسية ، فيرصد مؤلفنا ثلاث قوى أساسية تنخر فى جـسد الأمة ، وتسلل فى منطقتنا لتكون نوعًا من السرطان الذى هو وحده قادرًا على شل الإرادة :

أولها : القيادات الحاكمة .

ثانيها : الثروة التى وُضعت فى أيد غير صالحة ، وغير أمينة على استغلالها .

ثالثها : أهل الفكر الذين خانوا قضـية أمتهم ، وأضحـوا أبواقًا وظيفتها القيـام بعملية الزفة السياسية للحاكم أو للمستعمر .

وبكفـاحيـة العلماء الذين يقـومون بأدوارهم فى الحـياة إزاء قـضايا أمـتهم الوجـودية ومصائرها ، ولا يضنون عليها بما يمتلكون من علم ومنهج ، راح يعـرى واقع الطبقة المثقفة التى خانت قضـية أمتها ، والقيـادات السياسية التى حكمت المنطقـة منذ الأربعينات وحتى الآن ويصفـها بأنها من أسـوأ أنواع القيادات التى عـرفتهـا أمتنا فى تاريخهـا الطويل يقول بصراحته المعهودة .

(طبقات حاكـمة قد نسيت إلا أنانيتها ، و (ديدان) اسـتطاعت أن تتسلق لتصل إلى أقصى القمة ، ولكنها لم تعد تذكر طبيعتها منذ أن تربعت فى كراسى السلطة ، وظنت أنها قد اكتسبت خصائص القيادة ، وقدرات فكرية انقلبت إلى مجموعة من الصفاقة) .

ولكنه يدرك - بحكم خلفـية تكوينه العربى الإسـلامى - أن ذلك الوضع هو تصديقًا للمأثور « كمـا تكونوا يول عليكم » ، ولذلك نراه يقول بصراحة معهـودة : (إن الطبقات الحاكمة ليست إلا تعبيرًا عن فساد الجسد ورخاوة الإرادة ، وتعفن الضمير ، وكل شعب لا يحكمه إلا من يستحقه ويعكس جميع خصائصه من قوة وضعف) .

إنه فى هذه المقـالات وهو يُعلن بوضـوح - **سوف أظل عربيًا** - يوجه ثـلاث رسائل

تنطلق من مضمون واحد ، وحقيقة فكرية ومنهجية متراصة مترابطة :

1 – رسالة إلى الأمة التى ينتمى إليها – فى شخص ابنه الذى يرى مستقبله فى مستقبل أمته – يذكرها بماضيها الناصع الخالد ، ويرصد حاضرها الناطق بالعجز الشامل عن إرادة الفعل ، ومستقبلها المهدد بخطر الاختفاء الحضارى من على خارطة الوجود الإنسانى .

وفى مخاطبته وحديثه للأمة لا يُحمِّل جيلاً واحدًا منها مسؤولية ما وصلت إليه من تمزق وقنوع : (لا تتصور يا بنى أنها محنة جيل واحد ، لقد حمل ذلك الجيل الذى تنظر إليه مستنكرًا المآسى المترسبة خلال عشرة قرون على الأقل .. إن هذا الجيل هو حلقة فى سلسلة طويلة من الأجيال التى تنكرت لتعاليم آبائها فى هذه المنطقة ، أجيال تركت الآخرين يشكلون منطقها وعقلها على المستوى الفردى والجماعى ، فأضحت لقمة سائغة فى يد قوى معادية لا يمكن إلا أن تقف من رسالتنا التاريخية موقف الرفض والعداوة) .

إن هذه الصفحات الخالدة التى كتبها مؤلفنا هى مجموعة من (الرسائل) لضمير الأمة ووعيها ، تهدف إلى الكشف عن مكنونات الجسد وقدراته . . . وتشحذ – بقدر الوعى بخطورة التردى – العزائم والهمم بمستقبل الأمة إذا أخذت زمامها بأيدى أبنائها . إن النهضة التى طالما سمعنا عنها ، والتى تحدث أكثر من مفكر واحد يذكر فضلها ، لا تزال فى الأفق لم تحدث بعد ، أنت – يا بنى – الذى سوف تخلق هذه النهضة ، وليس أمامك إلا أن تعود إلى آبائك الأوائل تسألهم ، وتسترشد منهم عن حقيقة وظيفة الأمة التى تنتمى إليها ، والتى اختارتها القوة العليا ؛ لأن تقود الدعوة للعودة إلى حظيرة القيم المثالية . لا تنظر إلى ما حولك . إن الفارس الحقيقى لا يلقى ببصره إلى ما هو أسفل أقدامه . . وإنما يتجه ببصره إلى الأمام – إلى المستقبل .

2 – رسالة إلى الفئات والطبقات المثقفة فى الأمة – ورغم أنه يعى تماما الأدوار التى يقوم بها معظم أهل الفكر من هذه الطبقة فى هذه الأيام ، ويعلن مرددًا مع عالم الأسكندرية د. محمد محمد حسين – رحمه الله تعالى – : (حصوننا مهددة من الداخل)، ولكنه يدرك بوعى أن هؤلاء واقع ينبغى أن يتم التعامل معه . (هناك مجموعة أخرى من الأسباب تقودنى إلى أن أتحدث مع أولئك الذين شاءت الأحداث إلا أن تجعل لهم وزنًا فى عالمنا المعاصر ، أولئك الذين يخرجون علينا من آن لآخر يُشنِّفون آذاننا بأسطورة الحضارة الغربية تارة ، وتارة أخرى بحديث السلام . كذلك تلك المجموعة من الأذناب التى تتكون من حصيلتها ما نسميه بظاهرة (الزفة السياسية) ، فى حاجة إلى نوع من المنطق واللغة التى لا بد وأن تفرض عليهم أن يتساءلوا بينهم وبين أنفسهم عن حقيقة تلك الموجات الكاذبة التى تحيط بنا ، والتى ليست إلا تعبيرًا عن ظاهرة المرض التى هى بدورها تملك

وظيفتها ؛ لأنهـا ضرورة تفرضها طبيعة الوجود الإنسانـى ، حتى نستطيع أن نكتشف مدى صلابة إيماننا ورسوخ عـقيدتنا ، ولماذا نذهب بعيـدًا ؟ ألم يقل رسولنا الكريم : « **خاطبوا الناس على قدر عقولهم** » ؟

وفى نفس الوقت يدرك مؤلفنا وظيـفة الطبقة المثـقفة والقيادات الفكرية - فـى تقاليدنا الحضارية العربية الإسلاميـة - يقول بوضوح : (إن تاريخنا هو قصة الأئمة الأربعـة الذين لم يتردد أى مـنهم فى أن يقف من السلطان الحاكم مـوقف المراقبـة والمحاسبـة ، ولو على حساب حياته وحريته . إن هذا التاريخ هو أيضًا قصة[1] أحمد بن حنبل الذى تحدى خلفاء ثلاثة ، ولم يتـردد فى أن يقف وحيدًا مـهابًا يرفض نظرية فـكرية كاملة ، وليـجعل الرأى العام - فى عالم لـم يكن يعرف بعد ما تعنيه هـذه الكلمة - يثور على الخليفـة العباسى ، ويجعله يتراجع وينحنى إجلالاً وتقديسًا) .

وهو ينطلق فى ممارستـه الفكرية والقيام بوظيفـته الكفاحية من هذا المنـطلق ، فها هو يخاطب أحد القيادات السياسية الحاكمة (هل قرأت سيدى قصة الفلاح الفصيح ؟ لقد كان فرعون هو الحاكم بأمره ، بل هو الإله الذى تقمـص شخص أحد أبنائه . ولكنه إزاء شعبه هو المصلح والراعى لمصالح أمة . . . وذلك منذ ستة آلاف عام . فهل عدنا إلى الوراء ؟ ثم جاء الإسلام ليـضيف تقاليد أخـرى أكثر تقدمًا وأكـثر حنكة . وأحد هذه التقـاليد أن من واجب الفقيه أن يقول للحاكم كلمة ينصـحه ويرشده فإن لم يقبل النصح ينذره ويتوعده ، فإن تمادى فى غيه يرفع عليه سيف العصيان ، ويلجأ إلى جميع الوسـائل المشروعة لإعادته إلى الطريق السـوى أنت الحاكم ولكننى الفـقيـه ، أنت صاحب الحق فى الأمـر ولكننى أنا وحدى الذى يعبر عن الضمير الجماعى فى أنقى صوره . . .) .

ولكن هل تعى الطبقة المفكرة والمثقفة فى أمتنا هذه الرسائل ؟ أم أنها سوف تظل سادرة فى خيانة قضايا أمتها وممارسة كل أشكال الزفة السياسية وأنواعها خدمة لأى حاكم ؟؟

3 - رسـالة إلى الطبـقـات والقـيادات الحـاكمـة فى العـالـم العـربـى . . . وقـبـل الدخـول فى هذه الرسائل التى يمكن تسميتهـا كتابات (الحكمة السياسـية أو مـرايا الأمـراء - Mirrors of Princes) ، يتناول بالتحليل خـصائص الكثير من الطبقـات القيادية التى تسيطر على مصير الأمة العربية :

1 - تخلف المنطق القيادى وعدم المقـدرة على استيعاب حقيـقة التطورات ، والانفصال عن الطبقات الحاكمة فى أبراج عاجية تسودها الأنانية والتجمد ، وعدم وضوح الرؤية .

---

(1) سلسلة أعلام المسلمين ، 17 ، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة (164 م - 241 هـ)، عبد الغنى الرفز دار القلم ، دمشق 1979

2 – عـدم القدرة على إعطاء كل مـوقف وزنه الحقيـقى أو التعـامل معـه من منطلق الفاعلية ، والقدرة الواعية .

3 – تَعود هذه القيادات على الـكذب وممارسته بعناد وصلابة حتى انـتهت بأن تصدق هى ذاتها تلك الأكاذيب ، يسـاعدها على ذلك خوف من تحول السلطة عنهم ، واسـتعداد المواطن للتملق ، الذى تحول إلـى سلوك ثابت وصار شرطًا أساسيًا للحـصول على البعض من الحكام يعتـقـد أن الكـذب هو تعبير عن الدهـاء والقـدرة على التلاعب بالموقف ، هم يتصورون أن هذه هى المكيافيلية المثالية !!

4 – القيادات العربية بالموقف لا تفهم ، ولا تعرف ، ولا تقبل فن المناقشة ، وهى لا ترى فى هذه المناقـشة وسيلة للوصـول إلى الحقيـقة ، وإنما تراها أسلوبا من أسـاليب عدم الاحتـرام – هذا ليس إلا النتيـجة الطبيـعية لعـدم الثقة فـى الذات – فإذا فُرض على هذه القيـادات المناقشة المنطـقـية فى موقــف ما – فإنـهــا تنتقل ببسـاطة وسهولة إلى الإسـفاف والبذاءة .

* ويوجـه مؤلفنا رسـائل لمجمـوعة من القـيادات العـربية الحـاكمـة – يضعهـم أمام مسؤولياتهم التاريخية ، ويوضح لهم الأخطار المحدقة بمصير أمتهم .

يبدأ بالموقف السورى ويخاطب الرئيس الأسد . . . ومن ضمن ما يطالبه الإجابة على عشرة أسـئلة (لا يستطيع أن يتخلى عن مسـؤوليته عنها) ، وتلخص الإجـابة عنها تاريخ الحكم البعثى الـعلوى فى سوريا يقول : (لماذا التخلى عن منطقـة الجولان فى عام 1967 ؟ لماذا خيـانة الفلسطينيين فى عام 1967؟ . . . إلخ) . ويتعـمق فى تحليله مخـاطبًا الأسد : (وسياسـتك – سيدى الرئيس – قد حـققت جميع أهداف إسرائيل بما لـم يكن يتصوره بن جوريـون ذاته . . . أنت تعلم أن التوازن الحـالى لم يعد فى صـالحك ، ولا لصالـح الأمة العربية . . .) إنه مختل ، وفقط لصالح إسرائيل ، يوجه رسائله محللا الموقف المصرى ، ويخاطب الرئيس مبارك مذكرًا إياه بتلك اللحظات التاريخية التى تولى فيها حكم مصر (نعم يا سيـدى الرئيس حسنى مبـارك ، هذه هى لغة التـاريخ ، وعليك أن تفهمـها وأن تعيـها جيـدًا . . هل تدرك معنى الأحـداث التى مررت بهـا ؟؟ ألا تتذكر تلك اللحـظـات الخالدة والمخيفة عندما كنت تجلس إلى جوار الرئيس الراحل أنور السادات ، وكان الشعب قد اتخذ قراره التاريخى ، وقد انهالت عليكم طلقات الرصاص من جانب ، تعلن أن الأمة قد قالت كلمتهـا ، وأن التاريخ قد أصدر حكمـه ، وقد آن لتلك الفئة التى لم تعـرف كيف تصون الأمانة أن تختفى من الساحة .

* ويُفرّق مـؤلفنا بين القيادات المصـرية الحقيـقية والزائفـة فيقـول : إن قيادات مـصر

الحقيـقية ليست تلـك الوجوه القبيـحة التى أحاطت بالرئيس السادات فى لحظات مـعينة ، والتى لا تزال تحيط بخليـفته . . . إلخ ، ولكنه يذكـر نماذج من قيادات مصـر الحقيقـية ، وعندما خـان أنور السادات الأمانة التـى فى عنقه عن قناعة أو سـذاجة ، وقفت القـيادات المصرية الحقـيقية قبـضة واحدة فى وجهـه - نقابة المحامين تجتمع فى القـاهرة وتقسم على محاكمته بتهمة الخيانة العظمى ، والمثقفون يساقون إلى السجون) .

وبعد أن يوجه ملاحظات منهـجية للسياسة الداخلية والخارجـية المصرية مطالبًا بضرورة الأخذ بها أو التعامل معها ، يبادر بسـؤال الرئيس مبارك (هل افتقرت مصر للرجال ؟ هل أصابها العقم فلم يعد بها سوى ذلك الطاقم الذى رقص على كل حبل وغنى بكل مزمار ؟ أليس هؤلاء هم الذين خرجوا يزفـون إلينا التهنئة بأن مصر لم تفقـد سوى حفنة من الرمال ولكن النظام باق ، وهذا هو الأهم ؟ ثم عادت نفس الجوقة فى عصر السادات لتحدثنا عن مصـر الفرعونيـة واليوم تتـغنى بالحريات ؟ أليس هؤلاء هم الذين كـونوا الثروات ، وبنوا العمارات ، وامتلكوا الشقق على النيل ؟؟

ويعلن مؤلفـنا بوضوح ومنهجـية سيـاسية واقـعية : (إن الاسـتسلام لـه منطقه وهو استجداء الحقوق ، وله اسـتراتيجيته وأساسها الحصـول على الثمن مقدمًا من جانب وشىء خير من لا شىء من جانب آخر ، وهذه الممارسـة - ممارسة الاستسلام - تحتاج إلى حنكة معينة .

لقد مارسـها السادات ولكن الطامة الكـبرى أنه وثق بنفسه أكثـر من اللازم إلى درجة الغرور ، وانطلق من أسلوب (البذاءة اللفظية) ، ومنهاجـية الاستعانة بعناصر هو أول من احتقرها فى جميع مراحل تاريخه السياسى . . . ومن ثم كانت النتائج المعروفة والمشاهدة .

وفى رسالة ثالثة يوجـه مؤلفنا حديثًا مستـفيضًا للملك الحسن حـاكم المغرب ، محللا الأوضاع المفسرة للسياسة المغربية ، ثم ينتقل ليسأله :

(تُرى أليس من حقى ، ومن حق أى مفكر يئن باسم الضمير العربى أن يتساءل : ما هو حقيـقة الدور الذى تلعبه على مسرح السـياسة العربية سيـدى الملك ؟؟ وما هى القوى الخفية التى تحدد هذا الدور وتحركك تبعًا لكل موقف ؟؟) .

وفى رسالة رابعة يوجـه مؤلفنا حديثه للعقيـد معمر القذافى ، فهـو أولا رجل حركة وعليه أن يبتعد عن الفلـسفة ومشاكلها ، ولا يجوز أن تخدعه تلك المجـموعة من الصفّاقة والمتسلقين ، الذين أحاط بهم نفسه ليزينوا لقدراته الفكرية والتنظيرية . ولعل هذا يدخل فى دائرة تلك المسرحيات التى تدعو إلى الضـحك أكثر منها إلى البكاء ، والتى ارتبطت بالثورة الليبية منذ مراحلها الأولى . . .) .

ويشتد فى طرحه عدة أسئلة على العقيد القذافى منها :

أولا : لماذا تبذير نقود أمتك فى غير صالح أمتك ؟؟

ثانيًا : لماذا إهدار كرامة أبناء وطنك وإذلالهم ؟؟

ثالثًا : وما معنى هذا التهريج الذى تمارسه فى نظامك السياسى ؟؟

هذه فقط بعض نماذج من الرسائل التى يوجهها مؤلفنا للقيادات العربية الحاكمة - وتفاصيلها موجودة بين دفتى هذا الكتاب - تعطى لنا نموذجًا لطبيعة العلاقة بين المفكر والحركى ، وتوضح لنا دور النظرية فى فهم الحركة ، وترشيد الممارسة السياسية .

إن المحور الثابت الذى يدور حوله المقالات المنشورة فى هذه الدراسة أن لهذه الأمة طريقها الطويل فى مضمار التقدم الحضارى ، وريادتها فى مسافات التطور السياسى ، الأمر الذى يختلف عن ذلك التطور الذى تختطه أوربا لنفسها وتسير فيه منذ عصر النهضة وحتى الآن . . . إنه يتساءل بحق : هل تطورنا أساسه طرد الدين من حياتنا اليومية ؟ وهل دلالة وجودنا هو سيادة المادة على أى قيمة روحية ؟ وهل نحن عنصريون نؤمن بمفاهيم التفوق العرقى ؟ أم أن تطورنا يملك منطقًا آخر متميزًا ؟؟ الإجابة بالطبع نعم .

- ومع صفحات هذه الدراسة القيمة لم يعد لنا إلا أن نردد مع مؤلفنا :

هل آن لنا أن نتعلم فن السياسة ؟؟

نعم أمة السياسة لم تعد تعرف معنى السياسة !!

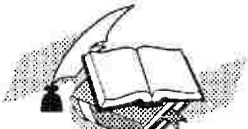

obeikandi.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، القائل فى كتابه سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر : 28] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل سبحانه : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران : 18] ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، القائل ﷺ : « **العلماء ورثة الأنبياء** »[1] ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن نهج نهجه واتبع سبيله إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه « **اثنان وعشرون مقالة من** » مقالات[*] كتبها الأستاذ الدكتور **حامد عبد الله ربيع** حول موضوع أساسى : « **الرجولة السلوكية فى تقاليدنا التاريخية** » [سوف أظل **عربيًا**] .

وكاتب تلك المقالات واحد من علماء هذه الأمة - الأفذاذ - القلائل الذين نهجوا نهجًا مميزًا فى العلم . . فيكفيه فخرًا حصوله على « سبع » درجات علمية (دكتوراه) وهو لم يصل الرابعة والثلاثين من عمره !!

يقول رسولنا ﷺ فى معنى الحديث [إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يُهتَدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فإذا طُمست النجوم أوشك أن تضل الهداة][2] .

وقوله ﷺ حينما ذُكر له رجلان أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال : « فضل العالم **على العابد كفضلى على أدناكم ، إن الله وملائكته وأهل السماء والأرض** ، وحتى النملة **فى جحرها ، وحتى الحوت فى الماء ليصلّون على معلم الناس الخير** » .

كل هذا الفضل للعلماء الجريئين فى الحق ، المحبين للخير ، الآمرين بالمعروف ،

---

(1) حديث رواه أبو داود والترمذى .

(*) لقد قمنا بنشر المقالات حسب تاريخ نشرها بمجلة الطليعة بفرنسا .

(2) حديث رواه الإمام أحمد .

والناهين عن المنكر ، المحاسبين للحكام الناصحين لهم ، والساهرين على مصالح المسلمين، المهتمين بأمور الأمة ، المتحملين كل أذى ومشقة فى هذا السبيل .

نعم كل ذلك الإكـرام ، للعلمـاء الذين يحـرسـون الإسلام ، الأمـناء على دين الله سبـحانه ، الداعين الحكام إلى تطبيقـه بلسان صدق ، وجنان ثابت ، الذين اتصـفوا بخلُق المرسلين ، فكانت أعمالهم ترجـمانًا لتعاليم القرآن والسنة ، يقولون للمـحسنين : أحسنتم ويقولون للظالمين : ظلمتم . . وللمفسدين : أفسدتم . . وللعاصين لقد عصيتم الله .

يصلحون ما فسـد ، ويقوّمون ما اعوج ، لا يخشـون أحدًا من الناس ، ولا يخافون لومـة لائم ، يقـولون للناس جميـعًا حكامًا ومحكومين : تعـالوا من هذا الدرب ، درب الإسـلام . . طريق السلامة والنجاة ، صراط الله المستقيم ، صراط الله العزيز الحميد .

* كـاتب تلك المقـالات واحـدٌ من هؤلاء . . الذين لا يهـابون سلطانًا جـائرًا ، ولا حاكمًا جبارًا - فقد ترك البلاد يوم عم الظلم ، واسودت الدنيا ، فذهب مهاجرًا فافترش الأرض ، وظل يبحث . . ويقـرأ . . ويجوب المكتـبات العالميـة ، ليزداد علمًا . . إلى أن ظهرت بارقة أمل فعاد إلى الوطن ليواصل رسالتـه ودعوته التى كرس لها حياته ، ليقدّم له النصح والإرشاد ؛ لأنه ممن آمن بقول الله عز وجل : ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر : 1-3] .

* كاتب تلك المقالات واحدٌ ممن آمن بقـوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة : 159-160] ، وممن آمـن بقول الرسول ﷺ : « **الساكت عن الحق شيطان أخرس** »[1] .

* وتاريخ الأمـة ملىء بنمـاذج العلمـاء الذين جـاهدوا فى سـبـيـل الله بـأمـوالهـم وأنفسـهم أمثال : سعيد بن المسيب ، وسعيـد بن جبير ، وأبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، وإمام أهل السنة « أحمد بن حنبل » ، والشافعى ، والبخارى ، وابن تيمية ، وابن القيم .

ومنهم أيضًا العز بن عبـد السلام ، وأحمد بن عرفان الهندى ، وعـز الدين القسام ، وعمر المختار ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وحسن البنا ، وسيد قطب ، وعبد القادر عودة، ومحمد مـحمد حسين ، ومحمـد الغزالى ، وجمال حمدان ، وفـوزى محمد طايل . . . وغيرهم من علماء هذه الأمة الأتقياء الأخفياء الذين أدوا وماتوا وما شعر بهم أحد .

(1) رواه الطبرى فى التاريخ ، وابن كثير .

* وكاتب تلك المقـالات واحد من هؤلاء الذين اعتـزوا بوطنيتهم ، وعروبتـهم وأخذ يصرخ فى كل مقالة بقوله : - **سوف أظل عـربيًا** - ولم يكن مجـاملاً لملك ولا لرئيس ، فقد وجه نصـحه وإرشاده إلى الملوك والرؤساء والقادة وهو ما زال يصـرخ فيهم بقوله : - **سوف أظل عربيًا** - ويظهر لهم أن اختلال القوة القيادية ظاهرة متكررة ؛ لأنها حقيقة مأساة الإنسان[1] ، أخذ يبين لهم أن الأمة العربية - الإسلامية - هى أمة القيم الحقيقية[2] وظل يبين للناس جميعًا أن الحضارة العربية الإسلامية لها خصائص ثلاثة :

* منطق الانفتاح الذاتى . * الاستمرارية التاريخية . * منطق الحوار الحضارى[3] .

وأخذ يواصل نصحـه وإرشاده للناس جميعًا - حكامًا ومـحكومين - بقوله : « نحن الأمة المخـتارة بقيـمنا وتقاليـدنا وتاريخنا وعلينا أن نعى معنى ذلك جـيدًا »[4] وأخذ يوجه سهـامه للحاقدين والمـنتمين للقوميـة العربية ، فطرح عليـهم هذا السؤال : « أين القومـية العربية من السياسة الأمريكية »[5] .

* أما عن نظـام القيم الحضـارية أخذ يُبين حـقيـقة « **الرجولة السلـوكية فى تقـاليدنا التاريخية** »[6] ، ويضع لها النسيج المتكامل من **أربعة عشر أساسًا** للأخلاقيات - التى افتقدتها الأمـة - ثم أخذ يُقعّد للسلوكيات فى تقاليد المسلم الحقيقى ، ثم يوضح العـروبة السـياسية فى حيـاة النـاس ورتّبـها ترتيبًا تـنازليًا * طاعة ولى الأمر . * تضـامن الأمة . * وتماسك جميع أجزائها . * الجهاد . * السيادة المطلقة للقيم الإسلامية[7] .

* ثم حـدد معالم الدولة القائد[8] التى يجب عليها أن تقود العالم العربى والإسلامى .

* ثـم واصـل استـذكـاره للأحـداث الـتى حـدثت فى حـرب الاستـنزاف التى شنها عبد الناصر[9] .

* ولم ينس الكاتب - رحمـه الله - قضية فلسطين ، وأن يوضح مـا حدث لها على يـد الصهيـونيـة العالمية ، ويقـول للذين يتـشـدقون بالـنزعـات القـومية ، يقـول لهـم : «المشكلة الفلسطينية هى أحد عناصر المشكلة القومية العـربية ، والتمزق الفلسطينى هو تعبير عن فشل العروبة السياسية ، واستئصال الوجود الإسرائيلى هو محور يجب أن يبرز واضحًا فى أى برنامج للقومية العربية »[10] .

---

(1) المقالة الأولى . (2) المقالة الرابعة . (3) المقالة السابعة .

(4) المقالة العاشرة . (5) المقالة الثانية عشر . (6) المقالة السادسة عشر .

(7) هناك قيم أساسية وهناك قيم تكميلية وهناك قيم تحسينية ، يمكن مراجعتها فى كتاب « نحو نهضة أمة» كيف نفكر استراتيجيًا لواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل - مركز الإعلام العربى طبعة عام 1997 .

(8) المقالة السابعة عشر . (9) المقالة الثالثة والعشرون . (10) المقالة الخامسة والعشرون .

أيها القارئ الكريم ..

وهكذا نجـد أن الكاتب - رحـمـه الله - بلّغ .. وأنذر .. وحـذّر .. وبيّن للأمـة مسـارها ، وأوضح لها الطريق الذى يوصلهـا - حكامًا ومحكومين - إلى بر الأمـان فأبرأ ذمته إلى الله - نحسبه كذلك والله حسيبه - .

ونحن نبرئ ذمتنا أيضًا بجـمع تلك المقالات المنشورة على صفحـات الجرائد والمجلات العالميـة فى كتابنا « الخامس » من سلسلة نحـو وعى سياسى واستـراتيجى وتاريخى ، أداءً لواجب البلاغ لـعل الأمة - حكامًا ومحكومين - تهـب من ثباتها ، وتفـيق من غفلتـها ، وتعرف حقـيقة مرضـها ، فتتـعاطى الدواء النافع ، ليصح الجسـد ، وينشط القلب ، فإذا صلُح القلب صلُح الجسد كله ، وبذلك تعرف الأمة مهمـتها نحو البلاغ والقيادة والريادة . إن فى ذلك لبلاغًا للناس ، والله من وراء القصد .

جمال عبد الهادى مسعود
عبد الراضى أمين سليم